ولــدت وعــاشت في العنــف: مهمــة "إسرائيل" في الشرق الأوسط

كتبه محمد رضا بهنام | 12 أغسطس 2024,

ترجمة وتحرير: نون بوست

لم يأتِ مؤسسو الصهيونية في "إسرائيل" بسلام، فلقد أنشأوا دولة قائمة على القوة والترهيب، ومع مرور كل عقد من الزمان؛ كثف ذريتهم من العنف. ولكن المستقبل غير مؤكد بالنسبة لدولة ولدت في العنف وتعيش في روح العنف.

لقد عرف الشرق الأوسط أكثر من نصيبه من المأساة والحزن منذ 14 أيار/ مايو 1948. ففي ذلك التاريخ؛ أعلنت "إسرائيل" نفسها دولة في فلسطين وفي غضون دقائق، اعترف الرئيس الأمريكي هاري ترومان بحكومتها المؤقتة باعتبارها السلطة الفعلية للدولة اليهودية الجديدة في قلب العالم الإسلامي.

لقد تقاربت أهداف الهيمنة للولايات المتحدة و"إسرائيل" منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، ولقد اعتبر كل من الطرفين الهيمنة على المسلمين وحكوماتهم عنصرًا أساسيًّا في مصالحه الإمبريالية والإقليمية.

غير أن النظام العالمي الذي تصوراه لم يتوافق مع المصالح الوطنية لأهل فلسطين وعزمهم على مقاومة التهجير واحتلال أراضيهم من قبل الصهاينة الأوروبيين.

ولم يكن للتعايش السلمي مكان في المشروع الاستعماري الذي تصوراه في أرض "إسرائيل". ولم يكن السلام إرثًا أمريكيًّا في المنطقة منذ نشأتها كقوة إمبريالية بعد الحرب.

ورغم أن زعماء "إسرائيل" أعلنوا علنًا رغبتهم في السلام، فإنهم عرقلوا باستمرار المداولات والمبادرات البناءة، وبدؤوا بدلاً من ذلك حروبًا توسعية، واحتلوا أراضي الآخرين بشكل غير قانوني، وساهموا في عسكرة المنطقة.

ولسبعة عقود من الزمان؛ وفرت خطط السلام والاتفاقيات والمفاوضات التي ترعاها الولايات المتحدة غطاءً لـ"إسرائيل" بينما كانت تنفذ مشروعها الاستعماري الاستيطاني. وحتى يومنا هذا، وكما ذكرت المجلة الطبية الرائدة (تموز/ يوليو 2024)، حتى مع تجاوز حصيلة القتلى في غزة 186 ألف قتيل أو أكثر، تواصل واشنطن تأكيد دعمها "الصارم" لحقول القتل الإسرائيلية في غزة. لقد شجع الدعم المالي والدبلوماسي والعسكري الأمريكي "إسرائيل" على أن تصبح المجرم المتوحش الذي هي عليه اليوم.

بعد هروب السجناء من سجن غزة في تشرين الأول/ أكتوبر؛ استخدمت "إسرائيل" السلاح الذي اعتمدت عليه دائمًا – العنف – لتدمير رغبة الفلسطينيين في التحرر من القمع الصهيوني. لقد أطلقت العنان لعنفها الإبادي الجماعي على شعب وشريط من الأرض، بتاريخ يمتد لأربعة آلاف سنة، وحكمته ذات يوم سلالات وإمبراطوريات مختلفة.

ولم يفلت القادة الفلسطينيون أيضًا من العنف الإسرائيلي. فلدى تل أبيب تاريخ في اغتيال قيادة المقاومة. وكان آخر الضحايا إسماعيل هنية، رئيس المكتب السياسي لحماس، الذي اغتيل في طهران في اليوم الأخير من تموز/ يوليو.

وقبل خمسة أشهر، اغتيل مروان عيسى، نائب قائد الجناح العسكري لحركة حماس، في غزة. وقبلهما، قُتل مؤسسا حماس، عبد العزيز الرنتيسي والشيخ أحمد ياسين (الذي قضى معظم حياته على كرسي متحرك) في غزة سنة 2004.

ولم يقتصر العنف الإسرائيلي على فلسطين. فمنذ تشرين الأول/ أكتوبر 2023، قتل الجيش الإسرائيلي حوالي تسعة من القادة والقادة العسكريين في لبنان وسوريا وإيران.

وفي 30 تموز/يوليو 2024، ضربت "إسرائيل" منطقة سكنية في جنوب بيروت، مما أسفر عن مقتل القائد الكبير في حزب الله، فؤاد شكر. وفي نفس اليوم؛ نفذت الولايات المتحدة هجومًا على قاعدة جنوب بغداد تديرها قوات الحشد الشعبي العراقية، مما أسفر عن مقتل أربعة أشخاص وإصابة العديد.

وشعرت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، التي لها تاريخ طويل في دعم فلسطين، أيضًا

بغضب الولايات المتحدة؛ ففي أوائل شهر تشرين الثاني/نوفمبر 2023، ردًا على قصف "إسرائيل" وحصار غزة، بدأ أنصار الله (الحوثيون) حملة منظمة لتعطيل الشحن في البحر الأحمر. ومنذ ذلك الحين، شنت الولايات المتحدة غارات جوية على المناطق التي تسيطر عليها جماعة أنصار الله في اليمن.

ووفقًا لقناة العربية السعودية، فإن الغارات الجوية (20 تموز/يوليو) على مستودع وقود ومصافي نفط في ميناء الحديدة على البحر الأحمر – شريان الحياة الاقتصادي لليمن – نُفذت في عملية مشتركة بين "إسرائيل" والولايات المتحدة وبريطانيا. وقد أشعل الهجوم على الميناء الحيوي للبلاد حريقًا هائلاً، مما أسفر عن مقتل ستة وإصابة 87 يمنيًا.

ونظرًا لتواطؤ واشنطن مع الإبادة الجماعية التي ارتكبتها "إسرائيل"، كان من الواضح أن تدخل قوة عالمية أخرى كان ضروريًا. وقد رحب الفلسطينيون بدعوة جمهورية الصين الشعبية للتوسط في محادثات المصالحة. وبعد ثلاثة أيام في بكين، وقعت 14 جماعة فلسطينية على اتفاق الوحدة في 23 تموز/ يوليو 2024.

وقد رفضت إدارة بايدن الاتفاق الذي يدعو إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية مؤقتة لتولي مسؤولية غزة والضفة الغربية بعد الحرب. وبدلاً من ذلك، كرروا رغبتهم في رؤية السلطة الفلسطينية – التي رفضتها الغالبية العظمى من الفلسطينيين – تتولى مقاليد الحكم في غزة.

وكان من المتوقع أيضًا أن يتجاهل البيت الأبيض الحكم التاريخي الذي أصدرته محكمة العدل الدولية في 19 تموز/ يوليو 2024 والذي وضع خطة شاملة للسلام والعدالة والأمن للجميع في فلسطين وإسرائيل.

وكما يكشف التاريخ؛ حافظت "إسرائيل" على موقعها في الشرق الأوسط من خلال العنف. بالإضافة إلى ذلك، اعتمدت الهيمنة الأمريكية الإسرائيلية على الصراع والانقسام الإقليمي للحفاظ على هذه الهيمنة.

ومع تعميق واشنطن لمشاركتها في المنطقة، نظرت إلى محاولات التوحيد باعتبارها تهديدات لمصالح الولايات المتحدة و"إسرائيل" وتفوقهما – ليس بخلاف تصورها للإسلام السياسي اليوم.

وقد تم تأكيد تصميم أمريكا على السيطرة على الأحداث في مبدأ أيزنهاور لسنة 1957، الذي دعا إلى دور موسع للجيش الأمريكي في المنطقة. وعكس المبدأ العداء والرغبة في احتواء النفوذ المتزايد للقومية العربية، فضلاً عن الخوف من وجود الاتحاد السوفييتي آنذاك.

وبحلول سنة 1957؛ أصبحت القومية العربية ـ وهي الأيديولوجية التي دعت إلى الوحدة الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية العربية ـ الأيديولوجية السائدة في العالم العربي، وكان الرئيس المصري جمال عبد الناصر (1956-1970) زعيمها بلا منازع.

وتحت قيادة عبد الناصر، توحدت مصر وسوريا معًا في سنة 1958 لتشكيل الجمهورية العربية

المتحدة، وهو الاتحاد الذي استمر حتى سنة 1961. وكان تركيز الحركة القومية العربية على الوحدة والانتقام لخسارة فلسطين ومعارضة الاستعمار والإمبريالية الغربية.

وقد تعرضت القومية العربية، التي كانت قد ضعفت بالفعل، لتقويض شديد بسبب الهزيمة المهينة التي لحقت بمصر وسوريا في حرب "إسرائيل" الاستباقية في سنة 1967، والتي أدت في نهاية المطاف إلى تراجع عبد الناصر وتآكل الحركة. ومن المهم أن نلاحظ أن الولايات المتحدة زودت "إسرائيل" بالأسلحة أثناء الحرب.

ولم تتعاف الوحدة العربية قط؛ بل أصبحت دول مثل مصر والأردن دولاً تقدم الرعاية الاجتماعية للولايات المتحدة، وأصبح الدكتاتوريون العرب الأثرياء في النفط عملاء إقليميين لواشنطن وتل أبيب. ولقد أصبحت الولايات المتحدة تنظر إلى المنطقة من خلال منظور الحفاظ على "إسرائيل" بأي ثمن.

إن عزيمة الفلسطينيين؛ وهم يكافحون ضد الهيمنة الأمريكية الإسرائيلية، تمثل القومية المأمولة التي جذبت وأثارت في وقت ما أجزاء كبيرة من العالم العربي.

لقد كانت الطبقة السياسية في الولايات المتحدة غير مبالية بتطلعات 500 مليون مسلم في الشرق الأوسط، ولكنها بدلاً من ذلك كرست مواردها وهيبتها ودعمها لدولة واحدة يبلغ عدد سكانها نحو 7.5 ملايين إسرائيلي غير مسلم.

إن مؤسسي الصهيونية لم يأتوا بسلام، فلقد أقاموا دولة قائمة على القوة والترهيب. ومع كل عقد من الزمان، كثف ذريتهم من العنف. وبعد أن اكتسبوا الجرأة، لم يعودوا يخفون مهمتهم التي سعوا إليها منذ فترة طويلة وهي تطهير فلسطين عرقيًّا. وتتمثل المأساة بالنسبة لأمريكا في أنها اختارت أن تكون شريكاً في هذه المهمة.

لقد حاولت الولايات المتحدة و"إسرائيل" بكل قوتهما أن تقوض مستقبل الفلسطينيين، ولكنهما قللتا دائما من شأن قوتهم وتاريخهم الممتد على مدى أربعة آلاف سنة والذي زرعهم بقوة في فلسطين.

المصدر: فلسطين كرونيكل

رابط المقال : https://www.noonpost.com/236379/